

فَتى الْخِيَمِ

قصة: هبة عيادة

رُسومَاتُ: رزان عبود



"هَيّا يا زِيادُ، سَنَتَأَخَّرُ عَلى الْمَوْعِدِ الْأُسْبوعِيِّ لِتَدْريبِ كُرَةِ الْقَدَمِ." "حَسَنًا يا أُمّي، ها أَنا جاهِزٌ، هَيّا بِنا."



في طَريقِهِما كانَ زِيادٌ يَتَأَمَّلُ الشّارِعَ الْمُؤَدِّيَ إِلى الْمَلْعَبِ الَّذي يَتَدَرَّبُ فيهِ، وَكانَتْ هذِهِ الْمَرَّةَ الْأُوْلى الَّتي يَلْحَظُ تِلْكَ الْخِيَمَ الْمَصْفوفَةَ عَلى جانِبَيِ الطَّريقِ، وَأُولَئِكَ الْأَطْفالَ الَّذينَ يَلْعَبونَ بِالْكُرَةِ في الشَّوارِعِ الضَّيِّقَةِ الْمُحيطَةِ بِالْخِيَمِ.



أُمّي! ما تِلْكَ الْخِيَمُ الْقَريبَةُ مِنَ الْمَلْعَبِ؟ وَمَنْ هؤلاءِ الْأَطْفالُ؟



هذِهِ خِيَمُ النّاسِ الَّذينَ فَقَدوا بُيوتَهُمْ؛ أُولئِكَ النّاسُ الَّذينَ أُجْبِروا عَلى تَرْكِ أَرضِهِمْ وَوَطَنِهِمْ وَبُيوتِهِمْ لِكارِثَةٍ أَوْ حَرْبٍ ما وَلا يَمْلِكونَ الْكَثيرَ لِيَعْتاشوا مِنْهُ. وَهؤلاءِ هُمُ الْأَطْفالُ الَّذينَ يَسْكُنونَ تِلْكَ الْخِيَمِ.



شَعَرَ زِيادٌ لِوَهْلَةٍ بِالْأَسَفِ وَالضّيقِ عَلى حالِهِمْ، وَلكِنَّهُ عادَ وَصَرَخَ مِنَ الْفَرْحَةِ بَعْدَما تَوَقَّفَتِ السَّيّارَةُ وَوَصَلا إِلى الْمَلْعَبِ: "يييييي...
أَخيرًا وَصَلْنا إِلى الْمَلْعَبِ، فَأَنا أَشْتاقُ طيلَةَ الْأُسْبوعِ لِلَعِبِ الْكُرَةِ مَعَ أَصْدِقائي." "حَسَنًا إِذًا، سَأَمُرُّ عَلَيْكَ بَعْدَ ساعَةٍ عِنْدَ انْتِهاءِ التَّدْريبِ."



لَعِبَ زِيادٌ مَعَ أَصْدِقائِهِ كُرَةَ الْقَدَمِ، وَفَجْأَةً وَبَيْنَما كانَ فَريقُ زِيادٍ مُنْهَمِكًا بِاللَّعِبِ وَالتَّدْريبِ، تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالْغُيومِ السَّوْداءِ وَبَدَأَتْ تُمْطِرُ بِغَزارَةٍ. عِنْدَها أَعْلَنَ الْمُدَرِّبُ الْحاجَةَ لِإِنْهاءِ التَّدْريبِ وَضَرورَةَ الْعَوْدَةِ إِلى الْمَنازِلِ.



شَعَرَ زِيادٌ بِالْبَرْدِ الشَّديدِ، وَجَلَسَ يَرْتَعِدُ مِنَ الْبَرْدِ وَأَسْنانُهُ تَصْطَكُّ مِنَ الْبَرْدِ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِانْتِظارِ عَوْدَةِ والِدَتِهِ

وَبَيْنَما كانَ حَزينًا بِسَبَبِ انْتِهاءِ التَّدْريبِ ظَهَرَ فَتًى صَغيرٌ بِعُمُرِ زِيادٍ.



وَقالَ لَهُ: "تَفَضَّلْ هذِهِ الْكنْزةَ الصّوفيَّةَ، سَتُشْعِرُكَ بِالدِّفْءِ إِلى حينِ عَوْدَةِ والِدَتِكَ."

ارْتَدَى زِيادٌ الْكنْزَةَ وَسَأَلَهُ مَنْ يَكونُ، وَلِماذا يُقَدِّمُ كنْزَتَهُ لِشَخْصٍ لا يَعْرِفُهُ؟



أَجابَ الْفَتى قائِلًا: أَنا أَعيشُ فِي تِلْكَ الْخِيَمِ الْمُجاوِرَةِ، وَأُراقِبُكُمْ كُلَّ أُسْبوعٍ أَثْناءَ تَدْريبِكُمْ، وَبَيْنَما كُنْتُ أُتابِعُكُمْ لاحَظْتُ جُلوسَكَ هُنا وَشُعورَكَ بِالْبَرْدِ.

وَقَدْ كانَ والِدي يَقولُ دائِمًا قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ الْحَرْبُ مِنَّا: غَيِّرْ مالا تَسْتَطيعُ أَنْ تَقْبَلَهُ، وَاقْبَلْ مالا تَسْتَطيعُ تَغْييرَهُ، وَتَعَلَّمْ أَنْ تُمَيِّزَ الْفَرْقَ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ.



لَمْ يَقُلِ الْفَتى أَكْثَرَ مِمّا قالَهُ، وَذَهَبَ في طَريقِهِ مَعَ وُصولِ والِدَةِ زِيادٍ.



قَضى زِيادٌ بَقِيَّةَ الْأُسْبوعِ التّالي يُفَكِّرُ فيما قالَهُ فَتى الْخِيَمِ ذلِكَ: "غَيِّرْ مالا تَسْتَطيعُ أَنْ تَقْبَلَهُ، وَاقْبَلْ مالا تَسْتَطيعُ تَغْييرَهُ، وَتَعَلَّمْ أَنْ تُمَيِّزَ الْفَرْقَ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ."



فِي الْأُسْبوعِ التّالي وَعِنْدَ ذَهابِهِ إِلى التَّدْريبِ، طَلَبَ مِنْ والِدِهِ أَنْ يوصِلَهُ هذِهِ الْمَرَّةَ، وَأَخْبَـرَهُ بِمُخَطَّطِهِ السِّرِّيِّ الَّذي يَحْتاجُ إِلى مُساعَدَةِ أَبيهِ لِتَنْفيذِهِ.
أَخَذَ مَعَهُ كُلَّ الْمَلابِسِ الَّتي لَمْ يَعُدْ يَرْتَديها، وَاشْتَرى بِمَصْروفِهِ بَعْضَ الْأَطْعِمَةِ اللَّذيذَةِ وَالْمُؤَنِ لِإِصْلاحِ الْخِيَمِ الَّتي أَفْسَدَتْها الْأَمْطارُ.



وَبَيْنَما هُوَ مُنْهَمِكٌ بِإِصْلاحِ الْخِيَمِ تَحْتَ الْمَطَرِ بِمُساعَدَةِ أَبيهِ، جاءَ الْفَتى نَفْسُهُ وَسَأَلَهُ: "ماذا تَفْعَلُ هُنا؟"
لَمْ يَتَرَدَّدْ زِيادٌ في الْإِجابَةِ مَعَ ابْتِسامَةٍ عَريضَةٍ وَغَمْزَةٍ: "أُغَيِّرُ مالا أَسَتَطيعُ أَنْ أَتَقَبَّلَهُ."



وَوَقَفَ الاِثْنانِ يَضْحَكانِ بِسَعادَةٍ تَحْتَ الْمَطَرِ.


النِّهايَةُ